مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 19 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2023 الصفحات 101- 112

# أهمية الشّعر العربي القديم في تعزيز اللّسان وتقويم مهارات التّعبير في الوسط التّعليمي

# The importance of classical Arabic poetry in promoting Language Speaking and expression skills in the educational environment

**دخموش فتيحة[1]،***

[1] *المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار (قسنطينة)، dekhmouche_fatiha@yahoo.com*

تاريخ الإرسال: 2023/06/20 تاريخ القبول: 2023/12/20

**الملخص:**

تعدّ نصوص الشعر العربي القديم من الظواهر الفنية التي أثرت عميقا في وجدان المتلقي العربي نظرا لأهميتها الجمالية واللغوية وارتباطها بالهوية الثقافية العربية وبالتراث اللغوي والديني والحضاري للعرب، وهي لذلك تلعب دورا فعالا في تعزيز اللسان العربي الذي تمثله وتعد قالبا جيدا له بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وتسهم إسهاما فعالا في حفظ اللغة وإثرائها وفي تكوين المتعلم في مختلف الأطوار ومساعدته في تحسين مستوى لغته وتنمية مهاراته التعبيرية ، وستحاول هذه الدراسة التركيز على دور نصوص الشعر العربي القديم في تعزيز اللسان بالعربية وتطوير مهارات التعبير للمتعلم في المرحلة الجامعية وبالذات في الأطوار الأولى وذلك في إطار رؤية مستخلصة من تجربة في تدريس هذه النصوص ، حاولنا تقديمها للمهتم كي تكون عونا له في استثمار مثل هذه النصوص لتحقيق هذه الأهداف وبالتالي الرفع من مستوى التحصيل اللغوي ومن القدرات اللغوية لطلاب اللغة العربية في الجامعة.

**الكلمات المفتاحية:**

الشعر القديم؛

لسان؛

تقويم؛

مهارات التعبير؛

الوسط التعليمي؛

**ABSTRACT:**

Ancient Arabic poetry texts are considered artistic phenomena that have deeply influenced the sensibilities of Arab recipients, given their aesthetic and linguistic significance and their connection to Arab cultural identity. They are intricately linked to linguistic, religious, and cultural heritage, playing a crucial role in reinforcing the Arabic language, second only to the Quran and Hadith. These texts actively contribute to preserving and enriching the language, shaping the learner in various stages, assisting in improving language proficiency, and enhancing expressive skills. This study aims to focus on the role of ancient Arabic poetry texts in reinforcing the Arabic language and developing expression skills for learners, particularly in university-level education, with a special emphasis on early stages. Drawing from teaching experience with these texts, we seek to present insights that can assist interested individuals in leveraging such texts to achieve these objectives. Consequently, the study aims to elevate linguistic attainment and language.

**Keywords:**
ancient poetry,
tongue,
calendar,
expression skills,
educational
environment,

* فتيحة دخموش

**تمهيد:**

تعدّ نصوص الشعر العربي القديم من أكثر النماذج الإبداعية في التي مارست أثرا قويا على النطاقين بلغة الضاد في كل زمان ومكان، وتتفرد هذه النصوص عن غيرها من نصوص الشعر العربي في مراحله الزمنية المتقدمة، بخصوصياتها التاريخية والمعرفية والجمالية، وهي تحتل موقعا خاصا في وجدان العربي وعقله، لارتباطها بالهوية الثقافية للعرب وتراثهم اللغوي والديني والحضاري.

ونصوص الشعر العربي القديم ليست مجرد وثائق تاريخية فحسب، بل هي ظاهرة فنية لازالت تمارس سحرها الخاص فينا كلما وقفنا على متن من متونها الخصبة رغم تعاقب الأزمنة، والإلمام بهذه النصوص هو جزء من الإلمام باللغة واللسان العربيين والتمكن منهما، لكون نصوص الشعر العربي القديم تعد نموذجا جيدا ومتكاملا للسان العربي وهي تكتسي أهمية بالغة في حفظ اللغة وإثرائها وتعزيز اللسان وتقويم مهارات التعبير في الوسط التعليمي عبر مختلف أطواره ومراحله وخاصة في المرحلة الجامعية.

بناء على ما تقدم يتبين لنا أن معرفة طالب اللغة العربية في الجامعة للشعر العربي القديم واهتمامه بنصوصه ضرورة حتمية، وهو يفيدهم في إثراء لغتهم ولسانهم، وتأتي أهميته من حيث إنه يكسب الطالب قدرة كبيرة على تطوير المهارات وتجاوز الأخطاء،فطالب اللغة العربية مهما حفظ من القواعد النحوية والصرفية والبلاغية لن يستطيع التحكم الجيد في اللغة وإتقانها مالم يدعم ذلك الحفظ بقراءة وحفظ وتدارس القوالب المثلى للغة ومنها الشعر العربي القديم.

وعليه فالإشكالية المطروحة هنا تتمحور حول مدى الدور الذي يلعبه الشعر العربي القديم بالنسبة للطالب الجامعي؟ وما هي الطرائق والآليات الواجب تفعيلها من أجل استثمار نصوص الشعر القديم في تقوية وتعزيز اللسان باللغة العربية وتقويم مهارات التعبير لدى طلابنا؟، خاصة في ظل ما يعانونه اليوم من ضعف في اللغة وبعد عن العربية – وهم متخصصون فيها – وعجز عن إقامة اللسان بها؟ هذه هي الأسئلة التي تركز عليها القراءة وتحاول أن تجيب عنها استنادا إلى خبرة في تدريس هذه النصوص باختلاف مراحلها الزمنية ضمن المقاييس الأدبية التي حوت مادة الأدب القديم، والتي يتم إدراجها عادة في السنوات الأولى من التعليم الجامعي، وهذه المقاييس هي مقياس الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي — في السنة الأولى– ومقياس الأدب العباسي والأندلسي والمغربي– في السنة الثانية– حيث تقرر هذه المقاييس بالتوازي والتزامن مع المقاييس اللغوية الأخرى التي تمثل عماد التخصص في اللغة العربية للمتعلمين كالنحو والصرف والبلاغة والعروض، والتي يفترض بالطالب الجامعي أن يصل فيها إلى مرحلة متقدمة من امتلاك ناصية اللغة وممارستها، حيث أثبت واقع تدريس المقاييس الأدبية التي حوت مادة الشعر القديم وخاصة في الحصص التطبيقية عدم المعرفة الكافية للطلاب بنصوص الشعر القديم وضعفهم اللغوي وعجزهم في جانب الممارسة اللغوية فضلا عن تذمرهم ونفورهم منها ووصفها بالصعوبة والتعقيد والغموض، وقد أصبحت هذه الظاهرة من المشكلات التي تطرح اليوم في أقسام اللغة العربية في الجامعات والمدارس العليا على حد سواء ما أدى إلى افتقار مقروئية الطلاب للتراث الشعري القديم وبالتالي تفويت فرصة الاستفادة من متونه في دعم المردود اللغوي

بشكل عام وكذا تحسين مستوى التحصيل في بقية المقاييس اللغوية بشكل خاص، حيث يمكن للنصوص الشعرية القديمة أن تلعب دورا فعالا في معالجة هذا الخلل وهذا ما ستحاول هذه الدراسة الكشف عنه واستجلاءه وتوضيحه.

## 1/ القيمة الثقافية واللغوية للشعر العربي القديم:

الشعر هو خلاصة التجارب الإنسانية وهو وعاء الفكر والمعرفة والعلم و مناط الاحتجاج ، فهو "كيان لغوي يقوم من خلفه كيان ثقافي وحضاري" [1]، وقد أطلق العرب على الشعر العربي القديم لقب "ديوان العرب"، وهذا ما تؤكده مقولة عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"[2]؛ لأنهم جعلوا منه وعاء لتجاربهم وحكمهم وعلومهم ومعارفهم وثقافتهم وأهميته لا تقتصر على قيمته الثقافية فحسب، والتي تتمثل في التعرف على الأحداث التاريخية والثقافية والسياسية والاجتماعية المهمة، بل تتعداها إلى القيمة اللغوية، ذلك أن الشعر يسهم في تنمية خبرات المتعلمين ويوسع آفاقهم الثقافية .

ويعد الشعر العربي القديم- بعد القرآن الكريم- من أهم أسس اللغة العربية ومن أبرز مراجعها من حيث الكلمات والتعابير، ومن مصادرها الأساسية في استنباط القواعد النحوية والتراكيب البلاغية، كما أنه أصل كل ما جاء بعده من شعر وأول النصوص الأدبية التي تم حفظها وروايتها وكتابتها باللغة العربية في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية من بعده، وهو مجموعة من المختارات الشعرية التي أبدعها شعراء تلك العصور والتي تتوفر على مجموعة من الصفات الجمالية والفنية وجملة من الأفكار والقيم والمعاني المضمنة فيها إضافة إلى السمات اللغوية التي كتبت بها، ناهيك عن خصوصية المكانة التي تحتلها في الوسط الأدبي لارتباطها بالهوية الثقافية للعرب وتراثهم اللغوي والديني والحضاري.

وللشعر العربي القديم جملة من الخصائص والمميزات التي تحدد طبيعة وقيمة علاقته بمتلقيه وأهمها:[3]

– تعدّ نصوص الشعر العربي القديم بمثابة الوثيقة التاريخية التي يشترك في التعامل معها العديد من المشتغلين بحقل العلوم الإنسانية كالمؤرخ وعالم الآثار إضافة إلى الأديب والناقد كل من زاويته،ذلك أن تداخل النص القديم مع سائر فنون المعرفة في التراث العربي الإسلامي يعد ظاهرة بارزة وسمة واضحة في ثقافتنا، وهو ما جعل تلك النصوص الأدبية التراثية والشعرية على وجه الخصوص منفتحة على العديد من الفضاءات المعرفية.

– اختلاف زمن إبداع نصوص الشعر العربي السابقة لعصر التدوين عن زمن كتابتها؛ حيث لم يصبح التطابق بينها أكيدا إلا منذ عصر التدوين أما ما قبل ذلك فكانت الرواية الشفوية تقوم مقام الكتابة في نقل الشعر وتداوله.

– اختلاف زمن إبداع الشعر العربي القديم عن زمن قراءته وتفسيره وتأويله فالمؤلف والناقد أو القارئ ينتميان إلى عصرين مختلفين وواقعين متميزين، الأمر الذي ينتج عنه أحيانا صعوبة اللغة نتيجة اتساع الهوة بينها وبين أصولها القديمة مما يحوج المتعرض لها إلى الاستعانة بالمعاجم اللغوية والشروح لفهمها و تفسيرها ودراستها.

–لم يكن الشعر العربي القديم مجرد مصدر للألحان فقط، بل كان مستودعا للمعارف وقيدا للأحداث، لقد كان ديوانهم الذي سجلت فيه أنسابهم وأيامهم ومآثرهم ومثالبهم، وبالتالي فهو ليس مجرد إبداع فحسب، بل هو مصدر للمعرفة أيضا.

– تعدد أصناف هذا الشعر بين الشعر الوجداني العاطفي الذي يعبر عن التجارب الذاتية ويترجم أحاسيس النفس من فرح وحزن وغضب واطمئنان وأمل ويأس، وما إلى ذلك، والشعر الإعلامي الذي يسجل الأحداث والوقائع وهو وثيق الصلة بالحياة اليومية ، والشعر الفلسفي الذي يتأمل في الحياة والكون مع تداخل هذه الأصناف ضمن القصيدة الواحدة أحيانا وغلبة الطابع الوجداني عليها.

– اتسام النصوص الشعرية القديمة ببنية فنية خاصة ، وتميزها بخصائص جمالية دقيقة ومعقدة مما يجعل التفاعل معها يختلف من قاريء إلى آخر تبعا لمستوى الإدراك والمعرفة لدى المتلقي.

يضاف إلى ماسبق جملة من الخصائص الأخرى التي حافظ عليها الشعر العربي القديم في شكله ومضمونه عبر كل عصر من عصوره من العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي ومعظم هذه الخصائص والميزات تمثل عمود الشعر وتجسد عناصره وتتمثل في:[4]

– التزام النظام العمودي القائم على تناغم الوزن والقافية.

– جزالة العبارات والتراكيب وقوتها.

– وضوح المواضيع الشعرية وبساطتها وبعدها عن الغموض.

– التصوير الواقعي الحسي.

– وحدة البيت واستقلاليته في المعنى.

– تعدد مواضيع القصيدة الواحدة ما بين الغزل والوصف والحكمة والمدح وغيرها وخاصة في القصيدة الجاهلية.

وإذا كانت اللغة هي القضية الأساسية في الأدب، وإذا كان الشعر – وهو جزء من الأدب – إبداع لغوي بالدرجة الأولى والإلمام به جزء لا يتجزأ من تعلم أية لغة، فإن الشعر العربي القديم هو من المصادر الأولى للغة العربية–، وهو بمثابة قالب متكامل يجمع علوم اللغة العربية من النحو والصرف والبلاغة والعروض،ونظرا لأهميته اللغوية "اعتمد جزء منه وهو الشعر الجاهلي في تفسير القرآن الكريم وفي مجال الاستشهاد عامة"[5]، لذلك عد من أهم مصادر التقعيد في اللغة العربية .

انطلاقا مما سبق ندرك أهمية الشعر العربي القديم في تعزيز اللسان وتقويم مهارات التعبير لدى الناطقين باللغة العربية عموما ولدى المتخصصين في مجالها وطلابها بشكل خاص، نظرا لقيمته الثقافية واللغوية فضلا عن قيمته التاريخية والتوثيقية و المعرفية والجمالية، فكلها سمات تؤهله ليكون مرجعا لغويا قويا يستفيد منه طلابنا من خلال الإلمام به قراءة وحفظا ودراسة، لما تتوفر عليه نصوصه من لغة سليمة صافية وأساليب راقية وصور فنية بديعة، وهي نصوص لا تكتفي بتقديم المعرفة والمتعة الفنية لطلابنا فحسب، بل تقدم إليهم – زيادة على ذلك – المكتسبات اللغوية الضرورية لتعزيز اللسان العربي وتقويم مهارات التعبير به.

ولغة الشعر –كما هو معروف– مستمدة في نظامها الحي من اللغة، فالأصل أن الكلمة الشعرية مقتطعة من جسد اللغة، ولها وجود في المعاجم والقواميس، كما أن لها دلالات تختلف باختلاف سياقاتها واستعمالاتها ولكن

اللفظة اللغوية تأخذ نكهة خاصة وتكتسب طعما متميزا ومستوى راق عندما تدخل إلى عالم الشعر فتصبح أكثر قربا من نفس الجمهور.

من هنا كان الاشتغال على الشعر العربي القديم وتمثله وتعاطي نصوصه من قبل الطلاب المتخصصين بحقل اللغة وآدابها دورا كبيرا في تعزيز وتقوية اللسان باللغة العربية من خلال الاكتساب الفوري للغة الصافية النقية، إضافة إلى دعم تحصيل بقية فروعها من النحو والصرف والبلاغة والعروض، وتقوية مهاراتهم اللغوية والتعبيرية والفكرية، فيكون الشعر العربي القديم بالنسبة لهم عدة حقيقية وفعالة في الدفاع عن الهوية اللغوية والثقافية وتقويم اعوجاج اللغه وضعفها وهلهلتها في وسطهم، فمما لا شك فيه أن نصوص هذا الشعر بما تتضمنه من عمق في الأفكار وجماليات في الأسلوب التعبيري وقوة في التراكيب وتعدد في الصور، هي مصدر أكيد للإثراء اللغوي والفكري والتذوق الجمالي والفني.

## 2/ دور الشعر العربي القديم في اكتساب الروافد اللغوية وتقويتها وإعادة إنتاجها:

يعد الشعر العربي القديم مصدرا خصبا لاكتساب وتقوية المحتوى اللغوي لدى المتعلمين من مختلف الأطوار، وخاصة طلاب أقسام اللغة العربية في الجامعة، وذلك لتوفره على المواصفات اللازمة لتعزيز اللغة العربية والمقومات الجمالية الخاصة، واحتوائه على مجموعة الروافد اللغوية من النحو والصرف والبلاغة والعروض، وهي المقاييس اللغوية التي يتم تلقيها من قبل طلبة أقسام اللغة العربية في الأطوار الأولى –كما أشرنا سابقا– بالتوازي مع المقاييس الأدبية التي تشمل المراحل الأولى من الأدب العربي القديم والتي تتضمن النصوص الشعرية القديمة، حيث يتيح التمرس بهذه النصوص سواء أكان ذلك في إطار التلقي العام للمقاييس الأدبية التي تتضمنها في المحاضرات والتطبيقات المدرجة في المقرر الدراسي، أو كان في إطار الاجتهاد الشخصي للطلبة،دعم تحصيلهم اللغوي خاصة في النحو والصرف والبلاغة بمفرداته الثرية وأساليبه المتنوعة وتراكيبه القوية وصوره البيانية ما يؤدي إلى رفع كفاءتهم اللغوية و زيادة مخزونهم اللغوي وتطوير قدرتهم على الفهم وإتقان الكتابة والقراءة والحوار وفق القواعد السليمة للغة.

ويمكن استثمار نصوص الشعر العربي القديم في تعزيز اللسان العربي على مستوى منجز اللغة لدى الطلاب "كتابة "و"قراءة " و"حوارا"، وذلك من خلال استنباط وتمثل مختلف الروافد اللغوية والمكتسبات النحوية والبلاغية والعروضية الكامنة في تلك النصوص وإعادة إنتاجها فورا في الممارسة اللغوية، فمن المعروف أن النحو والصرف والبلاغة والعروض تضبط القواعد اللغوية التي يعمل الطلاب عادة على حفظها حفظا آنيا لايتجاوز حدود تجنب الأخطاء في الاختبارات وحل التطبيقات، ولكن ذلك الحفظ غير كاف لتعلم اللغة وممارستها ممارسة صحيحة بل لابد من الاستعانة بالقوالب اللغوية المثلى لتلك اللغة ومنها نصوص الشعر القديم في تطوير تلك الممارسة اللغوية وتفعيلها.

فعلى مستوى النحو مثلا، وهو عماد اللغة وأهم أركانها الأربعة كما حددها ابن خلدون: "اللغة، النحو، البيان، الأدب"[6]، وجاء النحو مقدما عنده لأنه به تثبت أصول المقاصد بالدلالة، فإن حفظ نصوص الشعر العربي القديم بتراكيبها النحوية السليمة وصياغة مفرداتها الفصيحة، يتيح للطالب المتعلم صون لسانه عن الخطأ ويحفظه من

الزلل ويكسبه القدرة على استعمال القواعد في المواقف اللغوية المختلفة وتطبيقها مباشرة وأحيانا يحصل ذلك حتى من دون العودة إلى القواعد النحوية ، بل بالارتجال والمحاكاة وحضور البديهة الحاصلة من استحضار المخزون اللغوي للنص الشعري التراثي، وبذلك يتحقق الهدف الحقيقي من النحو وهو القدرة على الأداء اللغوي والتعبير السليم نطقا وكتابة وليس مجرد حفظ لمجموعة من القواعد المجردة أو التراكيب المنفردة، فمواقف الارتجال مثلا التي يحتاجها الطالب ويلجأ إليها في التعبير الشفوي والحوار ومواقف أخرى لا تستدعي منه العودة إلى استعراض القاعدة النحوية لإقامة اللسان باللغة السليمة، بقدر ما تستدعي منه استحضار القالب اللغوي السليم من المخزون الذهني المكتسب من القوالب التي صبت فيها اللغة في صورة صحيحة.

أما على مستوى البلاغة، وهي كما عرفها أبو هلال العسكري "كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع وتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"[7]، وكما عرفها عبد القاهر الجرجاني: "وضع الدلالة وصواب الإشارة، وتصحيح الأقسام، وحسن الترتيب والنظام، والابداع في طريقة التشبيه والتمثيل والاجمال ثم التفصيل ووضع الفصل والوصل موضعهما وتوفية الحذف والتأكيد والتقديم والتأخير شروطهما"[8]، فإن الشعر العربي القديم ثري في نصوصه بمختلف الظواهر البلاغية التي تحقق جماليته وانجذاب المتعلم له، بفعل المؤثرات البلاغية الكامنة فيه والتي تساعد الطالب المتعلم على تذوق العمل الأدبي وإعادة إنتاج الانزياحات التركيبية والبلاغية المكتسبة عن طريق الحفظ والدراسة في ممارساته اللغوية المخصوصة نطقا وكتابة وأداء فضلا عن اكتسابه فصاحة النطق وبلاغة الكلام ، ذلك أن تمرسه بلغة الشعر عامة والشعر القديم خاصة يجعله يتجاوز محدودية اللغة العادية أو محدودية ما بين يديه من الألفاظ المألوفة ليوسع من دائرة استخدامه للثروة اللغوية في مستواها الجيد.

من هنا يمكن اعتبار الشعر العربي القديم من أنجع الوسائل التي يمكن أن يتم من خلالها تنمية الملكة البلاغية وتفصيح اللسان بصفة عامة ولدى الطلاب في أقسام اللغة العربية تحديدا، خاصة وأن لغته تحتوي على كل المقومات التي تحقق هذا الهدف من اللفظ الجزل والقول الفصل والتمثيل الجيد والاستعارات والإشارات، والمجازات التي تثري العبارات وتغني لغة الطالب، حتى تحصل له فصاحة المتكلم وبلاغته وهي "ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ"[9] والتعبير عن المقصود بكلام فصيح ولا يصل إلى هذه الملكة إلا من أحاط بأساليب العرب وحفظ عيون كلامهم من الأشعار خاصة، وأخذ الطالب من هذه الثقافة الأدبية ومما ترسب في عمق الذاكرة الشعرية القديمة لا يجعله متقنا للغة فحسب بل ومؤهلا للإبداع فيها.

فإذا عدنا مثلا إلى كثير من نماذج الشعر العربي القديم ، وجدناها مليئة بالصور المكرورة التي تعد من المأثور البلاغي الذي تداوله الشعراء العرب، من ذلك تشبيه المرأة الجميلة بالشمس أو بالغزالة، واستعارة اللآلئ للأسنان، والسهام للرموش، والبدر للوجه وغيرها من الصور البلاغية الاستهلاكية التي يعاد استعمالها في اللغة الفصيحة ويتم فهمها مباشرة عند الجمهور المثقف ومنه طلبة الجامعات في أقسام اللغة العربية، ومن ثم فإن كثيرا من المجازات الأدبية والشعرية القديمة تحديدا تتحول إلى علاقة آلية بابتعادها عن الصفة الأدبية عن طريق التكرار والتداول مما يجعلها تتحول إلى معان شبه معجمية[10]، وعلى هذا الأساس تدخل في الاستعمال اللغوي عند طالب اللغة العربية.

أما على مستوى العروض وإيقاع الشعر، وهما مقياس الشعر وميزانه كما وضحته نظرية الخليل بن أحمد الفراهيدي، فلطالما استعان النقاد بالأوزان في تقويم الشعر تماما كما فعل النحاة بالقواعد النحوية لتصويب اللغة[11] والشعر العربي القديم له قيمته في ذهنية المتلقى العربي عموما ونفسيته، وهو مألوف لديه في ذوقه، لذا تجده لا يستقبل النص الشعري القديم معنى بقدر ما يستقبله إيقاعا يتأثر به، ذلك أن موسيقى هذا الشعر هي أول ما يجذب القارئ إليه قبل حتى أن يفهم معناه، وذلك الانجذاب الحاصل بفعل التأثير الموسيقي للشكل العمودي هو الذي يحقق تفاعل المتعلم مع نصوص الشعر العربي لغويا وهو الذي يعمل على ترسيخ اكتساب المستويات السابقة من النحو والبلاغة خاصة، فالموسيقى والإحساس بالألحان والأنغام تعد من الدوافع الأساسية لتذوق الشعر وحفظه قبل الصور والأخيلة والمجاز، والشعر العربي القديم يمتلك طاقة موسيقية غنائية إلى جانب الوزن والقافية فضلا عن امتلاكه لإمكانات صوتية كامنة في اللغة ذاتها.

وتتميز بنية الشعر العربي القديم بمكون رئيس هو التكرار والتزام قيمة إيقاعية وعروضية وتقفوية واحدة تعودت عليها الأذن الشعرية العربية، وحركة التكرار الوزنية هذه في النصوص الشعرية العربية القديمة هي التي تقف وراء جاذبيتها وسرعة تلقيها والتأثر بها، ومن ثم محاكاتها، ويمكن استثمار هذه النقطة في تحفيز ذاكرة المتعلم لتسهيل استحضار الموروث الشعري والسير على منواله من خلال المواضبة على قراءته وحفظه وإلقائه.

### 3/ آليات وطرائق تعزيز اللسان وتطوير مهارات التعبير من خلال الشعر العربي القديم:

يعدّ الشعر العربي القديم زادا مهما للمتعلم في مختلف مراحل تعليمه وخاصة في المرحلة الجامعية، وتلعب نصوص هذا الشعر أهمية خاصة في مجال تعزيز لسانه بالعربية وتطوير مهاراته التعبيرية بها، بل تعمل على تهيئة الفرصة له للكشف عن مواهبه الأدبية من خلال تمرسه بنماذج منتقاة منها ومحاكاتها والنسج على منوالها.

وفيما يلي بيان لبعض الآليات والطرائق الفعالة في تقوية اللسان باللغة العربية وتطوير مهارات التعبير بها وهي تقوم أساسا على نظريتي "ابن خلدون" و"تشو مسكي"، فابن خلدون عد اللغة ملكة صناعية فقال في مقدمته: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام بمقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ثم يتكرر فتكون حالا، ثم يزيد التكرار فتكون الحال ملكة أي صفة راسخة" [12].

فابن خلدون– هنا –يؤكد على أهمية الحفظ والمران في التعلم والاكتساب اللغوي عند الفرد وهذا بعد سماع التراكيب والصور اللغوية والكيفيات الكلامية التي يقوم بواسطتها بالتعبير عن مقاصده فيما بعد، أي إنه يحفظها بعد الاستماع إليها، ثم يعبر بها لاحقا في المقامات التي يحتاجها.

وقد أكد عالم اللسانيات "تشومسكي" ما ذهب إليه ابن خلدون في نظرية اكتساب اللغة؛ إذ يرى "أن الإنسان لديه ملكة تهيئه لتعلم اللغة واكتسابها وأن اللغة ملكة تكتسب بالتعليم والمران"[13].

إذن يمكن أن نفهم أن ما ركز عليه "ابن خلدون" و"تشومسكي" في مسألة اكتساب اللغة هو مبدأ التكرار والمحاكاة والمران، ومن هنا يمكن أن نقرر أن محاكاة أساليب الشعر العربي القديم وترديدها من قبل الطالب الجامعي حفظا وقراءة ودراسة من شأنه أن يسهم في اكتساب اللغة السليمة وإثرائها وتقوية لسانه بها، ويمكن الاعتماد على هذه النصوص واعتبارها طريقة تربوية صحيحة لاكتساب اللغة السليمة وعليه فمن الضروري لطالب اللغة العربية إحاطة نفسه بالنتاج العربي الفصيح ممثل في الشعر القديم والتعامل معه حفظا وممارسة وخاصة النصوص الجيدة منه ليكون قادرا على محاكاة هذه النصوص وتحقيق الهدف المنشود المتمثل في التمكن من اللغة.

بناءً على هذا كله يمكن اقتراح بعض الطرائق لتعزيز اللسان العربي وتقويته وتنمية مهارات التعبير عن طريق الشعر العربي القديم لدى المتعلمين من طلاب الجامعة حتى تجري العربية على ألسنتهم وأقلامهم غضة طيعة، ولا ريب أن أول ما يمكن النصح به لتحقيق هذه الغاية قبل نصوص الشعر العربي القديم، هو القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فهما مفتاح العربية الأول وبوابتها والأساس المتين لكل راغب في إتقانها وامتلاك ناصيتها.

وبعد ذلك يأتي التمرس بالشعر العربي القديم من خلال ما يلي:

– اختيار جملة من نصوص الشعر العربي القديم المشهورة والتي تتميز بخصائص بارزة وحفظها والتغني بها، فذلك أدعى للتمرس على الفصاحة وأرجى لتمثل البلاغة في أجمل صورها، وذلك ما عبر عنه ابن خلدون ب "كثرة الحفظ وجودة المحفوظ"، وهنا يمكن اقتراح نصوص المتنبي الشعرية على سبيل المثال ، ففيها تتجلى معالم اللغة والهوية العربية من القوة والجزالة والحجة والبلاغة وقوة البيان، وحفظها والتمثل بها يكسب الطالب كثيرا من صفاتها من حيث كون هذا الشاعر قد شكل ظاهرة إنسانية وشعرية قلما تتكرر في تاريخ شعرنا العربي، تشبعت بفكرة العروبة وأمجادها وجسدتها في نتاجها الشعري.

– الاطلاع على مختلف كتب المختارات الأدبية بشكل عام والشعرية على وجه الخصوص وهي كثيرة ومتنوعة مثل: "جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي"، "يتيمة الدهر" للثعالبي"، "العقد الفريد" لابن عبد ربه، "الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني... وغيرها من أمهات الكتب والمصادر العربية القديمة، فهي تنفع الطالب الجامعي المتخصص في مجال اللغة العربية وآدابها وتعيينه في تحصيله اللغوي وتقوية لسانه العربي والتعامل معها ومع مادتها ضرورة حتمية بالنسبة له.

– قراءة دواوين الشعر القديمة وخاصة دواوين الشعراء الفحول من مختلف العصور الأدبية من الجاهلية حتى العصر الأندلسي على الأقل وحفظ ما أمكن منها والتمثل به من ذلك على سبيل المثال دواوين: "امرؤ القيس"و"النابغة" و"عنترة" و"كعب بن زهير" و"حسان بن ثابت"، وشعراء النقائض و"أبو تمام""والمتنبي" وأ"بو نواس" و"ابن خفاجة" و"ابن زيدون "... وغيرهم من رموز العربية وأعلام الشعر القديم.

– الحرص في التعامل مع الشعر العربي القديم على انتقاء النصوص ذات المواضيع القريبة من وجدان المتعلم انطلاقا من كون عملية الاكتساب هي عملية وجدانية بالدرجة الأولى، مع مراعاة التدرج في الأطوار التعليمية، كاختيار نصوص شعر الغزل التي تصف مشاعر الحب والشوق مثلا وهي مما يعايشه طالب الجامعة نفسيا في هذه المرحلة العمرية، ومن هنا فمثل هذه النصوص التي تلخص هذه التجارب تكون قريبة من المتعلم في هذه المرحلة التعليمية، وكذلك نصوص شعر الحكمة وشعر الحماسة لما تحتويه من تغن بالبطولة وإشادة بالتضحية واستنهاض للهمم وتمجيد للقوة وهي من المعاني التي يتعلق بها المتعلم في طور الجامعة.

–التركيز في كل ما سبق على عنصر الحفظ الجيد والقراءة الصحيحة والمعبرة عن المعنى من قبل المتعلم؛ لأن ذلك من شأنه تقويم اللسان وحفظه من الخطأ وتدريبه على الإجادة والصواب.

–لا يكفي في مجال استثمار الشعر العربي القديم التمرس بنصوصه عن طريق حفظها وقراءتها بل بدراستها أيضا وتسليط الضوء على معانيها وتراكيبها وألفاظها وصورها مع مراعاة مبدأ التحويل التعليمي[14].

والتزام الآليات السابقة يؤدي تلقائيا إلى اكتساب وتطوير المهارات التعبيرية أو المهارات اللغوية كل حسب طور تعليمه وهي "الأداء اللغوي الذي يتسم بالثقة والكفاءة فضلا عن السرعة والفهم والسلامة اللغوية نحوا وإملاء ومطابقة لمقتضى الحال، وهذا الأداء يكون إما صوتيا أو غير صوتي، فالأول يشتمل على القراءة والتعبير الشفوي والتذوق البلاغي وإلقاء الشعر، والثاني – الأداء غير الصوتي – يشتمل على الاستماع والكتابة والتذوق"[15].

ويؤكد الاتجاه الوظيفي في تعليم اللغة على تكامل هذه المهارات– القراءة، الكتابة، التحدث والاستماع– وتداخلها وارتباطها، فهي مشتركة في كثير من الأحيان، فلا تحدث دون استماع، ولا قراءة دون استماع أو تحدث أو كتابة، ولا كتابة دون قراءة أو استماع أو تحدث، "فاللغة إما شفوية وإما كتابية، وحين تكون شفوية منطوقة، تكون العلاقة بين التحدث والاستماع علاقة تبادلية قائمة على التأثير والتأثر، والخلل في أحد طرفيها أو في كليهما سوف يشوه الرسالة اللغوية ،ويفقدها وظيفتها، وكذلك الأمر في الرسالة الكتابية التي يتحدد طرفاها في القراءة والكتابة، إضافة إلى علاقات أخرى تظهر بين هذه العلاقات الطرفية تتمثل في العلاقة بين القراءة والاستماع كوسيلتي استقبال للمعلومات والمعارف ثم إعادة إخراج ما تم استقباله ممزوجا بما لدى الفرد من خبرات ومهارات، من خلال التحدث والكتابة، كوسيلتين لإنتاج المعرفة وتقديمها للآخرين".[16]

أما مهارة الاستماع، وهو الانصات والفهم، فيعمل الشعر العربي القديم على تطويرها لدى المتعلم انطلاقا من خصائصه الصوتية والموسيقية القوية والبارزة، ويحصل ذلك للطالب من خلال الترديد الآلي مع الفهم، وتنمى هذه القدرة خاصة عن طريق الشعر القديم و"ينجم عن ذلك تعلم اللغة والقراءة وزيادة الثروة اللغوية مع تفادي الأخطاء وتقييم الأفكار"[17].

أما القراءة، فتتشكل مهاراتها بشكل بارز عبر التمرس بالشعر العربي القديم؛ حيث تلعب خصائصه اللغوية من الألفاظ والعبارات القوية وتراكيبه دورا فعالا في القدرة على تطوير مهارة القراءة واستنتاج معنى النصوص وأفكارها

وبالتالي فهمها[18]، كما تعمل القراءة الجهرية له على تدريب الطالب على تطبيق قواعد اللغة العربية ومخارج الحروف ومقاطع الجمل وبالتالي صحة النطق.

وأما مهارة الكتابة والتعبير وما يتعلق بممارسة النشاط اللغوي وفق ما تقتضيه الوضعيات التواصلية، فإن نصوص الشعر العربي القديم بمميزاتها الخاصة تشكل قاعدة وخلفية جيدة تمكن المتعلم عبر مختلف مراحله التعليمية وخاصة المتقدمة منها –الجامعية– من تطوير قدرته على الإفصاح عما يجول بخاطره كتابة وكلاما في مواقف التعبير اللغوي المختلفة استنادا إلى لغة التعبير الراقية التي تحويها النصوص الشعرية القديمة والتي تشكل قاعدة جيدة لتأسيس القدرات اللغوية في الكتابة والتعبير.

فضلا عن مهارات أخرى يمكن أن يكتسبها المتعلم من حفظ الشعر القديم والتمرس به، وأهمها:

- تطوير القدرة على صناعة الموسيقى والإيقاع وما يمكن أن ينجم عن ذلك من اكتشاف مواهب موسيقية انطلاقا من استغلال القيم الصوتية الكامنة في نصوص الشعر القديم وقدرتها على تحريك بعض مظاهر الأنشطة الكامنة في المتعلم خاصة.
- إثراء خيال المتعلم ، وتنمية قدرته على الإبداع والنقد والتقويم.
- اكتساب ملكة تذوق الشعر بصفة عامة والتعرف على خصائص الجمال في أساليب اللغة في مختلف الكتابات اللغوية،وبلوغ المتعلم درجة الانتاج اللغوي والأدبي الراقي بعد تذوقه.
- تهذيب روح ونفس المتعلم والارتقاء بها نحو المثالية والنموذجية من خلال الخبرات المتنوعة التي تحصلها من خلال اطلاعها على النصوص الشعرية القديمة خاصة تلك التي تروج للقيم الفاضلة والمعاني الإنسانية السامية، إضافة إلى تعزيز الثقة بالنفس وتحقيق التواصل الجيد مع الآخرين.

**خاتمة:**

ختاما ولعل الخلاصة التي نصل إليها على أساس هذه القراءة المستوحاة من خلاصة تجربة تدريس الشعر العربي القديم للطلبة هي:

– التأكيد على أن الشعر العربي القديم هو من خير الوسائل التي تعين الطالب الجامعي المتخصص على تقوية لسانه العربي وتطوير مهاراته اللغوية من خلال إثراء رصيده المعجمي وملكته الإبداعية، فتعاطيه لنصوصه واشتغاله عليها يكسبه مناعة ضد ما يعتريه من لحن في لسانه وقلمه، ويتيح له إتقان اللغة والتمكن من ناصيتها.

–ضرورة اهتمام الطالب بالمقاييس الأدبية التي تتضمن مادة الشعر القديم وإقباله عليها ومضاعفة جهوده في الاستفادة منها في رفع الكفاءة اللغوية من خلال التطبيقات التي تقربه أكثر من هذه النصوص وتتيح له فرصة الاشتغال عليها، وكذا الاعتماد على نفسه في توسيع دائرة اطلاعه على مادة الشعر القديم خارج مجال الحصص المبرمجة ضمن المقاييس المخصصة لها.

–ضرورة استثمار الأستاذ لمادة الشعر العربي القديم في بقية المقاييس الأخرى وخاصة اللغوية منها وذلك من خلال التمثيل والاستشهاد بها وجعلها نموذجا للتطبيق وتدريب الطالب على التعامل معها، نظرا للعلاقة الوطيدة

بين الشعر العربي القديم والروافد اللغوية الأخرى التي تساعد نصوص الشعر القديم على تحصيلها واكتسابها وإعادة إنتاجها في الممارسة اللغوية كالنحو والبلاغة والعروض.

– حرص الأستاذ المدرس لمادة الشعر القديم على تحسين آدائه بانتقاء النصوص الأكثر متعة والنصوص الأقرب إلى نفسية الطالب في هذه المرحلة حتى يضمن انجذابه نحوها وإقباله عليها وبالتالي استفادته منها.

**المراجع المعتمدة:**


1/ أنطوان نعمة وآخرون. تعليمية اللغة العربية،.ط1. بيروت– لبنان :دار النهضة العربية، 2006م ، ج1.

2/ أنيس، إبراهيم. موسيقى الشعر. ط4. مكتبة الأنجلو المصرية، 1972م.

3/ بلبع، عيد. السياق وتوجيه دلالة النص. دط. المكتبة الأزهرية للتراث، 2007م.

4/الجمحي، ابن سلام.طبقات فحول الشعراء.تحقيق محمود شاكر. دط. القاهرة: مطبعة المدني، دتا.

5/ الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر. ط3. القاهرة: مطبعة المدني، 1992م.

6/حاتم، حسين البصيص. تنمية مهارات الكتابة والقراءة: استراتيجيات متعددة للتدريس والتقويم. دط. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011م.

7/ الحلوي، عبد العزيز، النص الشعري القديم وقضايا التلقي. ط1. تطوان: مطبعة الخليج العربي، 2009م.

8/ ابن خلدون، عبد الرحمان. المقدمة. تحقيق درويش الجويدي.المكتبة العمرية صيدا ، 2002م.

9/ دوجلاس براون. مبادئ تعلم وتعليم اللغة. ترجمة إبراهيم القعيد وعبيد الشمري. دط. مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1414هـ–1994م.

10/الخويسكي، زين كامل. المهارات اللغوية الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة وعوامل تنمية المهارات اللغوية عند العرب وغيرهم. ط1. مصر: دار المعرفة للنشر والتوزيع،2001م.

11/ العسكري، أبو هلال.الصناعيين. تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم.ط1. مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه،1371هـ– 1952م.

12/ عبد الله علي، مصطفى، مهارات اللغة العربية.ط1. عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2002م.

13/ فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص. دط. الكويت: عالم المعرفة، 1992م .

14/مسكين، حسن. الخطاب الشعري الجاهلي رؤية جديدة. ط1. المغرب–الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي،2005م.


**الهوامش والإحالات:**

[1] الحلوي، عبد العزيز. النص الشعري القديم وقضايا التلقي. ط1. تطوان: مطبعة الخليج العربي، 2009م، ص07.

[2] الجمحي،محمدبن سلام.طبقات فحول الشعراء تحقيق محمود شاكر.دط.القاهرة:مطبعةالمدني،دتا،ص24.

[3] ينظر: الحلوي ، عبد العزيز.المرجع السابق، ص ص 25،24،11،10.

[4] معظم هذه الخصائص مجسدة في نظرية عمود الشعر التي طرحها المرزوقي في مقدمة ديوان الحماسة لأبي تمام والتي تلخص قواعد الشعر السبعة.

[5] مسكين، حسن. الخطاب الشعري الجاهلي رؤية جديدة.ط1.المغرب–الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي، 2005م، ص 7.

[6] ابن خلدون، عبد الرحمان. المقدمة. تحقيق درويش الجويدي.المكتبة العمرية صيدا ، 2002م.ص545.

[7] العسكري، أبو هلال. الصناعيين. تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1371هـ- 1952م، ص19.

[8] الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق محمود شاكر.ط3 . القاهرة: مطبعة المدني،1992م، ص59.

[9] بلبع، عيد. السياق وتوجيه دلالة النص. دط. المكتبة الأزهرية للتراث، 2007م، ص60.

[10] ينظر: فضل، صلاح. بلاغة الخطاب وعلم النص .دط.الكويت: عالم المعرفة ،1992م ،ص217.

[11] ينظر: أنيس، إبراهيم. موسيقى الشعر.ط4.مكتبة الأنجلو المصرية ، 1972م ن ص27.

[12] ابن خلدون. المقدمة، ص554.

[13] ينظر: دوجلاس براون. مبادئ تعلم وتعليم اللغة. ترجمة د إبراهيم القعيد و د عبيد الشمري.دط. مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1414هـ-1994م، ص 37.

[14] "التحويل التعليمي" يقصد به إعادة إنتاج وكتابة وترتيب المعارف العلمية والأكاديمية حسب العمر العقلي للمتعلم ومرحلة التعلم وحسب مقدرة الاستيعاب. ينظر: أنطوان نعمة وآخرون. تعليمية اللغة العربية،.ط1. بيروت- لبنان :دار النهضة العربية، 2006م ، ج1، ص21.

[15] الخويسكي، زين كامل. المهارات اللغوية الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة وعوامل تنمية المهارات اللغوية عند العرب وغيرهم.ط1.مصر:دار المعرفة للنشر والتوزيع، 2001م، ص13.

[16] حاتم، حسين البصيص. تنمية مهارات القراءة والكتابة: استراتيجيات متعددة للتدريس والتقويم. دط. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2011م، ص20-21.

[17] عبد الله علي، مصطفى، مهارات اللغة العربية.ط1. عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع، 2002م، ص74-75.

[18] ينظر: المرجع نفسه، ص104.